

منهجية تغيير النفس

في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية

**Self-Changing curriculum in Islamic Thought
and Human Development**

إعداد

د. نور سهيل مهدي

Noor Suhail Mahdi

ديوان الوقف السني

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

قسم أصول الدين

تخصص (فكر إسلامي)



منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

إن منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية تعني السعي لتغيير ما بالنفس الإنسانية من صفات سيئة وعادات سلبية وسلوكيات محرمة بالطرق والأساليب العلمية، ووفق خطط ناجحة ومضمونة النتائج، وذلك بالرجوع إلى الأصول الثابتة في الإسلام ونتائج الفكر الإسلامي في فهم الدين وحسن تطبيقه، وكذلك الاستعانة بمعطيات علم التنمية البشرية الحديث وبرامجه التطويرية.

ومنهج التغيير في الفكر الإسلامي يشمل: إدراك سنن الأنفس والآفاق التي أودعها الله في هذا الكون، والعمل بمقتضاها، وأعظم تلك السنن هي سنة تغيير النفس كشرط لتغيير المجتمع ورفع البلاء والبأساء عن الأمة الإسلامية، ويشمل: معرفة الغاية التي خلق من أجلها الإنسان والسعي نحو تحقيقها، وتعد عاملاً قوياً محركاً للنفس نحو التغيير المنشود، وهذه الغاية هي عبادة الله تعالى بمفهومها الواسع، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وبذلك يمكن إعادة بناء المجتمع، وتحقيق النهضة الحضارية، ويشمل التغيير في الفكر الإسلامي: منهج تزكية النفس الذي حثَّ عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة وتطهيرها بصورة مستمرة ودائبة، يعد عاملاً مهماً وأساسياً في عملية تغيير حياة الفرد والارتقاء به، وتمهيداً لتغيير المجتمع الذي يعيش فيه.

أما منهج التغيير في التنمية البشرية فيشمل: البرمجة اللغوية العصبية؛ وهي من أهم ما يمكن أن يستفاد من التنمية البشرية من مجالات، كونها وضعت برامج دقيقة في تدريب النفس على اكتساب العادات الحسنة والتخلي عن العادات السيئة، ويشمل: الذكاء العاطفي، وهو محاولات عملية للسيطرة على انفعالات النفس الشعورية، انتقالاً للسيطرة على مشاعر الآخرين وفهمها والتعامل معها بأسلوب كسبي يجمع القلوب ولا يفرقها، ويشمل: مخططات التغيير، ولا يخفى ما للتخطيط من دور مهم ورئيسي للوصول إلى الهدف المطلوب، لذا كان لمخططات تغيير النفس أثراً بارزاً وحاجة لا يستهان بها في تحقيق التغيير.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما شاء ربي من شيءٍ بعد، والصلاة والسلام على أعظم الخلق وإمام الحق سيدنا محمد، غير الله به أمماً وشعوباً، وطيب به أرواحاً وقلوباً، بعثه بدين يرسم السعادة في طريق البشرية، ويبعث الأمل في الأنفس الشقية، صلاةً موصولةً على آله وأصحابه الذين علموا الأمم كيف تتغير النفوس وترتقي منازلها علياً.. وبعد.

أوكل الله (ﷺ) مهمة تغيير العالم وتحويل مجرى التاريخ البشري وفق نهجه إلى الإنسان المسلم، ودلّه على السبيل الموصل إلى هذه الغاية، وهي تغيير ما في الأنفس الإنسانية أولاً، وبذلك سيسري التغيير إلى جسد المجتمع، انتقالاً إلى تغيير العالم، وقد أسفر لنا التاريخ الإسلامي عن نماذج حية رائعة لنفوس غيرت ما بداخلها فتغير المجتمع بكامله وتغير العالم، فظهرت حضارة إسلامية لم يسبق لها مثيل في الرقي والابداع.

وتتبع أهمية البحث من خطورة المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، وتعاقب الهزائم والانكسارات وكثرة الأصوات المنادية بضرورة التغيير، الأمر الذي يحتم علينا إعادة النظر في الأساس الذي يتحقق من خلاله النصر والتمكين للأمة الإسلامية، ألا وهو معالجة آفات النفس وتقطيع حبال الشيطان، والسيطرة على الأهواء والرغبات وإلجامها بلجام الشرع تنزيلاً وفهماً سليماً وتطبيقاً صحيحاً، حينذاك سيرى الله (ﷻ) أن النفس والمجتمع يستحقان تغيير الأحوال واستنزال الرحمة والبركات، والنصر الذي يُفرح المؤمنين.

وتظهر مشكلة البحث _على حد اطلاعي_ في عدم وجود دراسة منهجية محددة ومتكاملة لتغيير النفس، تنظر إلى الغايات العليا التي حددها الله (ﷻ) للكائن البشري، نزولاً إلى أعماق النفس البشرية وكيفية التعامل مع أهوائها ورغباتها وفق برامج توصل إلى النتائج المطلوبة، وبالاستعانة بالعلوم النفسية والتربوية الحديثة التي هدى الله إليها الإنسان كعلم التنمية البشرية.

وقد هيكلنا البحث ضمن الخطة البحثية على مبحث تمهيدي للتعريف بالمصطلحات، ومبحثين آخرين، تناولنا في المبحث الأول: منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي، وجاء على ثلاثة

مجلة كلية العلوم الاسلامية

منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية

مطالب: أما الأول ففي المنهج السنني في الأنفس والآفاق، والثاني في إدراك الغاية من خلق الإنسان، ثم المطلب الثالث ففي منهج تزكية النفس.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان: منهجية تغيير النفس في التنمية البشرية، وجاء على ثلاثة مطالب: فأما الأول ففي البرمجة اللغوية العصبية، وأما الثاني ففي الذكاء العاطفي، وأما المطلب الأخير ففي مخططات التغيير.

كما تضمن البحث مقدمة وخاتمة بأهم النتائج.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين إنه سميع مجيب.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولاً: المنهج والمنهجية

المنهج: الطريق^(١)، والنهج يرد بمعنى التوضيح، نَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ، والنهَجُ: الطريقُ البَيِّنُ الواضِحُ، والجمعُ نَهَجَاتٌ وَنُهَجٌ وَنُهُوجٌ، وَطُرُقٌ نَهَجَةٌ، وَسَبِيلٌ مَنُهَجٌ: كَنَهَجٍ. وَمَنُهَجُ الطَّرِيقِ: وَضَحُهُ. وَالْمَنُهَاجُ: كَالْمَنُهَجِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٢)، وَأَنهَجَ الطَّرِيقُ: وَضَحَ وَاسْتَبَانَ وَصَارَ نَهَجًا وَاضِحًا بَيِّنًا؛ وَالْمَنُهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ. وَاسْتَنهَجَ الطَّرِيقُ: صَارَ نَهَجًا. وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ: أَبْنَيْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ؛ يُقَالُ: اعْمَلْ عَلَى مَا نَهَجْتَهُ لَكَ. وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ: سَلَكْتَهُ. وَفُلَانٌ يَسْتَنهَجُ سَبِيلَ فُلَانٍ أَيْ يَسَلُكُ مَسَلَكَهُ. وَالنَّهَجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ.^(٣)

وَالْمَنُهَاجِيَّةُ: مَصْدَرٌ صِنَاعِيٌّ مِنْ مَنُهَجٍ / مَنُهَجٍ، وَتَعْنِي: نِظَامُ طُرُقِ الْبَحْثِ، أَوْ: مَنُهَاجِيَّةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، أَوْ: طَبَقٌ مَنُهَاجِيَّةٌ جَدِيدَةٌ.^(٤)

المنهجية اصطلاحاً: هو ((علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، وتقيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام مضبوطة لا يختلف عليها أهل الذكر))^(٥).

ثانياً: التغيير

التغيير لغة: التحويل، تَغَيَّرَ الشَّيْءُ عَنْ حَالِهِ: تَحَوَّلَ، وَغَيَّرَهُ: حَوَّلَهُ وَبَدَّلَهُ كَأَنَّهُ جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: حَوَّلَهُ، وَتَغَايَرَتِ الْأَشْيَاءُ: اخْتَلَفَتْ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ لَمَّ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦)؛ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٧) مَعْنَاهُ: حَتَّى يُبَدِّلُوا مَا أَمْرَهُمُ اللَّهُ.^(٧)

أما المعنى الاصطلاحي للتغيير فلا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي، وهناك تعريفات عدة عند التحقيق نذكر منها:

_ ذهب الجرجاني إلى أن التغيير له معنيان^(٨):

الأول: هو إحداث شيء لم يكن قبله.

والثاني: هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى.

_ وهناك من ذهب إلى أنه هو: ((التحول من نقطة أو حالة في فترة زمنية معينة، إلى نقطة أو حالة أخرى في المستقبل))^(٩).

_ وهو بهذا يمثل: (تحركاً ديناميكياً باتباع طرق وأساليب مستحدثة ناجمة عن الابتكارات المادية والفكرية، ليحمل بين طياته وعوداً وأحلام البعض؛ وندم وآلام البعض الآخر، وفق الاستعداد الفني والإنساني، وفي جميع الأحوال هو ظاهرة يصعب تجنبها)^(١٠).

_ والتغيير في المفهوم الإسلامي هو: التبديل والتحويل المتجه نحو المنكرات ومواضع الخلل داخل النفس الإنسانية، إذ أن الأعمال لا تخلو أن تكون من جنس المعروف الذي يحبه الله (ﷻ) ويرضاه، أو من جنس المنكر الذي يبغضه ويحاسب عليه،^(١١) ودائماً التغيير المنشود هو من جنس الأعمال الصالحة والتوجه إليها قلباً وفكراً وسلوكاً.

ثالثاً: النفس

النفس لغة: النَّفْسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَجْرِي عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَوْلُكَ: خَرَجْتُ نَفْسَهُ، أَي رُوحَهُ، وَالثَّانِي مَعْنَى النَّفْسِ فِيهِ: جُمْلَةُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ^(١٢)، (وَإِذْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ تَكُونُ بِهَا الْحَيَاةُ وَتَفَارِقُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالنَّفْسُ الْأُخْرَى هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا التَّمْيِيزُ وَتَفَارِقُهُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَلَا يَزُولُ بِزَوَالِهَا النَّفْسُ)^(١٣).

وَالنَّفْسُ: الرُّوحُ، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ. وَالنَّفْسُ: الدَّمُ، يُقَالُ سَالَتْ نَفْسَهُ، وَالنَّفْسُ: الجسد.^(١٤)

النفس اصطلاحاً: (هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية).^(١٥)

ويذكر الإمام الغزالي أن النفس تطلق على معنيين^(١٦):

الأول: المَعْنَى الْجَامِعُ لِلصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، وَهِيَ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةُ الْمُضَادَّةُ لِلْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ، وَهِيَ الَّتِي يَنْصَرِفُ إِلَيْهَا مَفْهُومُ مَجَاهِدَةِ النَّفْسِ.

والمعنى الثاني: هو حَقِيقَةُ الأَدَمِيِّ وذاتِهِ، فَإِنَّ نَفْسَ كُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَتُهُ، وَهُوَ الجَوْهَرُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ المعقولات، وَهُوَ مِنْ عَالَمِ الملكوت.

قال (ﷺ) حكايةً عن نبيه عيسى (عليه السلام): ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلِّمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١٧) فالنفس هي الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف، أو هي الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء الساري فيها سريان ماء الورد، والله (ﷻ) منزه عن ذلك^(١٨).

رابعاً: الفكر الإسلامي

الفكر لغةً: هو إعمالُ النظر؛ أو إعمالُ الخاطر في الشيء، والتفكير هو التأمل^(١٩)، وهو تردد القلب في الشيء للاعتبار^(٢٠).

ويُعرَّفُ الفكرُ اصطلاحاً بأنه: ترتيبُ أمورٍ في الذهن بحيث يُتوصَّلُ بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً^(٢١)، والفكر انتقال النفس بالمعاني انتقالاً بالقصد، ويفسر: بأنه ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول، وقد يفسر الفكر بأنه: حركة النفس في المعقولات بانتقاله فيها انتقالاً قسدياً تدريجياً^(٢٢).

أما الفكر الإسلامي فيعرف بأنه: المحاولات العقلية من قبل علماء المسلمين لشرح الإسلام في مصادره الأصلية (القرآن والسنة): إما فقهاً واستنباطاً لأحكام شرعية في صلة الإنسان بالله (ﷻ) في العبادة، أو صلة الإنسان بالإنسان في المعاملات، أو معالجة أحداث مستجدة لم تظهر في عهد الرسول (ﷺ) والصحابة الكرام (رضي الله عنهم)، وإما توفيقاً بين مبادئ الإسلام من جانب، وبين ثقافات أجنبية دخلت الإسلام من جانب آخر، أو دفاعاً عن العقائد الإسلامية ضد العقائد المناوئة^(٢٣).

وهو: (كل ما أُلْفِه علماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية، بغض النظر عن الحكم، على مدى ارتباط هذا النتاج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية، والأصل في نسبة هذه العلوم (هذا الفكر) إلى الإسلام هو انتساب مؤلفيها إليه، وانطلاقهم من تصور إسلامي صحيح)^(٢٤).

خامساً: التنمية البشرية

التنمية البشرية مركب حديث الاستعمال، مكون من مفردتي (التنمية- والبشرية) وبما أن اللفظة الأخيرة واضحة المعنى، وسأكتفي بالتعريف اللغوي على لفظة التنمية.

التنمية لغة: الرفعة، نما الشيء ينمو نمواً ونماءً، وأنماه الله: رَفَعَهُ، ونميتُ فلاناً في الحَسَبِ: أي رفَعته فانتمى في حسبه، ونميت الشيء على الشيء: رفَعته^(٢٥).

وترد بمعنى النسبة، نَمَى الرجل إلى أبيه: نسبته إليه، ونَمَى لفلان أي انتسب له^(٢٦) لذا تتسب التنمية إلى البشر.

ويرد بمعنى الزيادة الذاتية، إذ إن (نما) الشيء يفيد زيادة من نفسه، أما قولنا (زاد) لا يفيد ذلك، يقال: زاد مال فلان بما ورثه عن والده، ولا يقال نما ماله بما ورثه، وإنما يُقال: نَمَتُ المَأشِيَةَ بتناسلها، ولذا سمي الشجر والنبات نامي^(٢٧).

أما التنمية البشرية اصطلاحاً، فأدق تعريف لها ما جاء في تقرير التنمية البشرية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي جاء فيه: التنمية البشرية: هي عملية توسيع خيارات الإنسان، إذ يصبح في متاوله مزيد من الإمكانيات ومنتسح من الفرص لاستخدامها، والتنمية البشرية كما هي هدف؛ هي أيضاً وسيلة وحصيلية، إذ تقضي بأن يمتلك البشر القدرة على التأثير في كل ما يكون حياتهم، فهي تنمية الإنسان ببناء الإمكانيات البشرية^(٢٨).

إذ يبصر الإنسان بمواطن القوة والضعف في شخصيته ويدفعه دفعاً نحو تطوير قابلياته وتغيير مساوئ شخصيته، عن طريق برامج ومخططات فاعلة ومؤثرة تعلمه كيفية التحكم في حياته لتحقيق أفضل الإنجازات.

وبعد أن استعرضنا التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلحات البحث، توجب علينا أن نضع تعريفاً إجرائياً لعنوان البحث بمجمله، فنعرّف منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية بأنها: السعي لتغيير ما في الأنفس الإنسانية من صفات سيئة وعادات سلبية وسلوكيات محرمة بالطرق والأساليب العلمية، وفق خطط ناجحة ومضمونة النتائج، وذلك بالرجوع إلى الأصول الثابتة في الإسلام ونتائج الفكر الإسلامي في فهم الدين وحسن تطبيقه، وكذلك الاستعانة بمعطيات علم التنمية البشرية الحديث وبرامجه التطويرية.

المبحث الأول
منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي

مدخل

جاءت الشريعة الإسلامية الغراء تبعاً لمصادرها الرئيسية (القرآن الكريم والسنة المطهرة) تبياناً وهدىً للعالمين، فاشتملت على أوامر وزواجر تؤول إلى صلاح أحوال الإنسان في الدنيا، وإلى فلاحه في الآخرة، فضلاً أنها أقرت السلوكيات الحسنة، وحثت على تغيير السلوكيات السيئة ضمن منهجية التوجيه الرباني لها، وهذا في حد ذاته تغيير للنفس نحو مراد الله تعالى.

وسندرس في هذا المبحث المنهج الجامع لتلك الأوامر والنواهي، وجملة القوانين التي أودعها وقررها الله (ﷻ) في الكون والنفس البشرية، التي تدفع بالنفس دعفاً نحو التغيير الفردي انتقالاً إلى التغيير الجماعي، ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: المنهج السنني في الأنفس والآفاق

لعل السبب الرئيس والمباشر فيما يحلّ بالمسلم من مصائب، وواقع سيء في حياته الخاصة والعامة يرجع إلى الجهل بحقيقة قائمة ما قامت السموات والأرض، مفادها: أن الله (ﷻ) خلق الكون وخلق النفس البشرية وأودع فيهما قوانيناً وسناً لا تتبدل ولا تتحول، وما على البشر سوى إدراك هذه السنن والعمل بمقتضاها، كي تتحقق لهم سعادة الدارين.

وقد أقر القرآن الكريم سنة عظيمة تبدل حال المجتمعات من سيء إلى حسن وبالعكس، ألا وهي سنة تغيير النفس، ونقف على شاهدين من آيات القرآن الكريم:

الأول: في سورة الأنفال الآية (٥٣): ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ لِمَ يَكُ مُغَيَّرًا نَعْمَةً أُنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فالتغيير هنا: هو تبديل شيءٍ بما يضاده، إذ إنه مشتق من الغير وهو المخالف، وتغيير النعمة: إبدالها بظدها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيئة، وفي الآية الكريمة تذكير بأن أصل النعمة من الله (ﷻ)، وإن تغيير هذه النعمة إلى النقمة حاصل بفعل الإنسان، بأن يقابل النعمة بالكفران؛ ذلك أن الأمم تكون صالحة، ثم تتغير أحوالها ببطر النعمة فيعظم فسادها، فذلك تغيير ما كانوا عليه^(٢٩).

وهذه الآية الكريمة تمثل جانباً من جوانب التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان، وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود، وعلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه، فهي من جانب: تقرر عدل الله (ﷻ) في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة أنعمهم إياها حتى يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويقبلوا أوضاعهم فيستحقوا أن يُغيّر ما بهم من النعم التي أعطاهم إياها للابتلاء والاختبار، والتي لم يقدروها ولم يشكروها، ومن الجانب الآخر: تبيين التكريم العظيم لهذا المخلوق الإنساني، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدري في حياة الإنسان مبنياً ومعتمداً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم، فهو يملك أن يستبقي نعمة الله (ﷻ) عليه ويملك أن يزداد عليها، إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر ويطر وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه، فهي تبعة عظيمة لمقاة على هذا الكائن تقابل التكريم العظيم^(٣٠).

— أما الموضع الثاني: ففي سورة الرعد الآية (١١): ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ قال الطبري (رحمه الله) في تفسيرها: (يقول تعالى ذكره: "إن الله لا يغير ما بقوم" من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم "حتى يغيروا ما بأنفسهم" من ذلك، بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره)^(٣١).

أي أن الله (ﷻ) لا يغير نعمة أو بؤس، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة، إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم،

والله (ﷻ) يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم من الخارج يترتب على ما يكون منهم في الداخل، ويجيء لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم^(٣٢).

وقد قرر القرآن الكريم أن ما يصاب به المسلمون من مصائب هو من عند أنفسهم: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٣٣) أي: حدثت هزيمتكم من قبل الكفار لأنكم خالفتم أمر الرسول (ﷺ) ولم تكونوا بمستوى الإيمان المطلوب، وتلك هي سنن الله (ﷻ) التي لا تتغير، بل المسلمون هم الذين يجب أن يتغيروا بما يرضي الله (ﷻ) كي يرفع عنهم المصائب^(٣٤).

فهذا ما يريد القرآن أن يعلمه للبشر في تفسير ما يحل بهم، حين يُلحُّ في اظهار: أن مرد المشكلة فيما يعاينيه المسلمون اليوم.. إلى ما بالنفس، وليس من الظلم الذي يحيق بالإنسان من الخارج، بل من الظلم الذي ينزله الإنسان بنفسه، انطلاقاً من السنن التاريخية والسنن الاجتماعية^(٣٥) في النهوض والسقوط التي يقرها القرآن، وبإغفالها تظلم الحياة وتتشأ الفلسفات المتشائمة الخانعة، أو الفلسفات المتسلطة المارقة، وهذا من أكبر أنواع الظلم الذي ينزله الإنسان بنفسه، أن لا يرى العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون والمجتمع والآفاق والأنفس، فلا يسخر الآفاق والأنفس وفق السنن المودعة فيها، وأزاء المشاكل التي تطرأ على عقل المسلم ينبغي أن يقوم بإخضاعها لقوانين يمكن كشفها، وبالتالي يمكن السيطرة على تلك المشكلات^(٣٦).

ذلك أن الأمم والأفراد يخضعون للسنن التاريخية والاجتماعية في جميع أحوالهم، كما يخضعون للسنن الطبيعية^(٣٧)، فهذا الخضوع يساوي بالضبط خضوع المخلوقات الكونية المادية لسننها، فكما أن سقوط تفاحة من شجرة هو نتيجة حتمية لأسباب معينة أدت إلى هذا السقوط فكذلك سقوط أمة هو نتيجة حتمية لأسباب معينة أدت إلى هذا السقوط^(٣٨).

فالسنن الاجتماعية والإيمانية غير منفصلة عن السنن الطبيعية، ونتائجها مرتبطة ومتداخلة، وهذا التصور ينشئه القرآن الكريم وهو يتحدث عن أهل الكتب السابقة وانحرافهم عنها وأثر ذلك في نهاية الطريق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

﴿لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٣٩)، وينشئ هذا التصور وهو يربط بين الواقع النفسي للناس والواقع الخارجي لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤٠)، فالإيمان بالله (ﷻ) وعبادته على استقامة وتطبيق شرعه على الأرض، هو تطبيق لسنة الله (ﷻ) النافذة بنا أو بغيرنا:

﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٤١) ونتائجها متحققة، وتتبع من ذات المنبع الذي تتبثق منه سائر السنن الكونية الطبيعية التي نلمس آثارها واقعاً بالحس والاختبار^(٤٢).

ولابد لنا في هذا المقام أن لا نغفل عن مسألة بالغة الأهمية، أصابت مسيرة العقل الإسلامي عند بعضهم بالشلل والتوقف عن العمل وهي التمسك بالفكر المخلّص، التي أصلها وأساسها عدم التفريق بين سنن الله (ﷻ) الخارقة والجارية، وانتظار الخلاص من القوى الغيبية.

إذ أن بعض من الناس ينتظر من هذا الدين ما دام منزلاً من عند الله (ﷻ) أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة، ويغفلون عن طبيعة هذا الدين الذي هو منهج إلهي للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم، وفي حدود طاقتهم البشرية وواقعهم المادي، وأن تلك الخوارق المجهولة الأسباب تبدل فطرة الإنسان ولا تتالي بطاقاته المحدودة وواقعه المادي المعاش^(٤٣).

فالسنن الخارقة (المعجزات) تشمل الظواهر الطبيعية؛ كانشقاق البحر للنبي موسى (a)، وانشقاق القمر لنبينا محمد (ﷺ)، أما السنن الجارية فهي التي تتعلّق بعباد الله (ﷻ) مطيعيه أو عصاته، أو المؤمنين والكافرين، فسنته في هؤلاء إكرامهم، وسنته في هؤلاء إهانتهم وعقابهم في الآخرة أو الدنيا والآخرة، وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة، كقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(٤٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَإِنَّا لَوَاصِرًا﴾^(٤٥)

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٤٥)، فهذه السنن الواردة في الآيات الكريمة هي المتعلقة بدين الله (ﷻ) وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، وليست هي السنن الخارقة المتعلقة بالأمر

الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك، فإن هذه السنن ينقضها إذا شاء بما شاء ولمن شاء من عباده^(٤٦).

إذ أن السنن الجارية لها الثبات الذي لا يتبدل، وهي التي تأتي حسب أفعال العباد وبذلهم ما في وسعهم لتحقيق ما أمر الله (ﷺ) به في هذه الحياة، أو تخليهم عن ذلك، بالإعزاز والإذلال سنة تعتمد ابتداءً على ما يقوم به الناس، أما السنن الخارقة فإنها تشمل الظواهر الطبيعية التي يخرقها الله (ﷺ) تحقيقاً واستكمالاً للسنة الجارية التي تأتي وفق الأعمال الصالحة للعباد.

المطلب الثاني: تحقيق الغاية من خلق الإنسان

لعل إبراز الدوافع التي تحرك الإنسان نحو السعي لتغيير ما بنفسه من طبائع وتوجهات وميول سلبية هي إدراك الغاية من وجوده في هذه الحياة، ومعرفة دوره ووظيفته على الأرض، لأي سبب خلق!! ولأي غاية ينبغي أن تكون خطاه في دروب الحياة.

في أول الأمر نفى الله (ﷺ) أن يكون خلق الإنسان من قبيل اللهو والعبث، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤٧) والعبث هو الفعل الذي لا غاية له ولا فائدة، وعكس العبث: الجد، وهو أن تعمل لغاية مرسومة، فنفى الله (ﷺ) أن يكون الخلق عبثاً بلا غاية، بل أبداع صنع الإنسان وحدد له الغاية، ووضع له منهج الحياة، وفساد الأنفس يأتي حين تأخذ الصناعة حق الصانع في تحديد الغاية^(٤٨).

وقد حددها الخالق (ﷺ) في ثلاث مواضع من القرآن الكريم: الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤٩) والعبادة هي الذل والخضوع والانقياد لله عز وجل، وهي المعرفة والإخلاص^(٥٠)، فمن لم يعرفه ولم يعبده فقد عطّل الغاية التي من أجلها خلق^(٥١)، وخلق البارئ (ﷺ) كل الحياة الدنيا لمصالح العباد وسخرها لهم ليستعينوا بها على عبادته (ﷺ).

والموضع الثاني: جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥٢)، وهي أول قصة ذُكرت في القرآن الكريم، حددت ورسمت المسار والغاية قبل أن يخلق الإنسان. والخليفة هو آدم ومجموع ذريته، والاستخلاف عن الله (ﷻ) في تنفيذ أحكامه وتطبيق شرائعه، وهي خلافة عامة في كل ما ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات^(٥٣).

(إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحويل والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله- بإذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية، وإذن فهناك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض- وتحكم الكون كله- والناواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة! وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاء له خالقه الكريم^(٥٤)).

والموضع الثالث: ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٥٥) أي: هو ابتداء خلقكم من الأرض وأسكنكم فيها أيام حياتكم، وجعلكم عمارة فيها^(٥٦)، (استعمركم فيها): استخلفكم فيها^(٥٧) أي: جعلكم عمار الأرض تعمرونها لمعاشكم ومعادكم، فأوكل عمارة هذه الأرض إلى الخلق الذين يقومون ببنائها والانتفاع بها^(٥٨).

ويعرض القرآن الكريم التاريخ الإيماني للإنسان -خليفة الله (ﷻ) في أرضه- في أكثر من موضع، ويربط ذلك بالهبات التي ركبها في ذاته من عقل وروح وإرادة وتكييف جسدي فذ، وبالهبات التي أودعها في الأرض وما حولها من إمكانات التعامل الحيوي معها، والسير في مناكبها والتحاور المبدع

الخالق بينها وبين الإنسان الذي جعل بهذه الهبات المزدوجة لأداء مهمته الحضارية: سيداً للعالمين، وفضل على كثير من خلق الله تفضيلاً^(٥٩)، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾^(٦٠).

لذلك حثَّ الله (ﷻ) في عدة آياتٍ من القرآن الكريم على إعمال العقل ودفعه دافعاً للنظر والتأمل في الكون بكل ما فيه، وحين يعمل العقل ويستفرغ وسعه بحثاً وفكراً وتأملاً يكون حينذاك في عبادة الله تعالى، وبذلك تتحدد وظيفة الإنسان في هذا الكون؛ ألا وهي إيماره عن طريق استكشاف القوانين والتعرف على العلاقات السببية الكامنة في الأشياء، ليسخر الكون كله لخدمة الإنسان وتحقيق مصالحه، وبذلك يتحقق معنى الاستخلاف عن الله تعالى في الأرض، وإن القعود عن أداء هذه الوظيفة إهدار لطاقة العقل وضياح لرسالة الإنسان وجريمة في حق الدين والدنيا معاً، وانحراف عن الغاية من الوجود الإنساني^(٦١).

فإدراك الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة والسعي نحو تحقيقها يعد دافعاً كبيراً ومحرك قوي نحو تغيير وتخليئة ما في النفس من سلوكيات سيئة لا ترضي الله تعالى، وتحليلتها بسلوكيات إيجابية صالحة تحقق السعادة للنفس في الدار الدنيا والآخرة، وتستجلب فتح الله عز وجل ونصره وبركته لأهل هذه القرى المؤمنة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٦٢).

المطلب الثالث: منهج تزكية النفس

النفس هذا الخلق العجيب الصنع الذي أبدعه الله (ﷻ)، وأقسم به وأودع فيه القابلية للفجور والتقوى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ ۝٧ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ ۝١٣ ﴾، فأقسم الله (ﷻ) في هذه الآيات المباركات بسبعة أشياء على أن من زكى نفسه بالطاعة قد أفلح وفاز، ومن أهملها وتركها تتغمس في المعصية فقد خاب وخسر، والأشياء السبعة: هي الشمس وضوؤها وإشراقها، وهو قسم ثان، والقمر إذا تبع بالطلوع الشمس بعد غروبها، فاستوى واستدار، وكان مثلها في

الضياء والنور، والنهار إذا جلى أو كشف الشمس، أي أبان بضوئه جرمها، والليل إذا يغشى الشمس، أي يذهب بضوئها عند غروبها، والسماء وبينانها وبانيتها وهو الله (ﷻ)، والأرض ومن طحاها أي بسطها، والنفس الإنسانية وتسويتها ومن سواها وهو الله (ﷻ)، بأن عدلها وزودها بالأعضاء المتناسبة، وبالقوى العضلية والفكرية والحسية، وعرفها طريق الفجور والنقوى، وسلوك سبيل الخير والشر، والطاعة والمعصية. (٦٤)

وتوصف النفس بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ودوافعها في السلوك وتأثيرها في الكيان الخارجي، فإذا سكنت تحت أمر الله وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، وارتقت بالتركيبية واطمأنت بإيمانها وسلوكها سميت "النفس المطمئنة" قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٦٥) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٦٥) وإذا لم يتم سكونها، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعتزلة عليها سميت "النفس اللوامة" لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦٦) وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (٦٦) وإن تركت الاعتراض ودفعت نحو السوء والفحشاء والمنكر سميت "النفس الأمارة بالسوء" ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (٦٧). (٦٨)

وقد اقتضت مشيئة الله (ﷻ) أن يجعل هذا الكائن البشري مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، فهو بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال والتمييز بينهما، والتوجه نحو كليهما على حد سواء، فهذه القوة كامنة في صميمه في صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توظف هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك، ولكنها لا تخلقها خلقاً، لأنها مخلوقة وكامنة فطرة، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان هي التي تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها، وتغلبه على الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب، فهي حرة تقابلها تبعة، وقدرة يقابلها تكليف، ومنحة يقابلها واجب. (٦٩)

فالنفس في أصلها سليمة، ولها الاستعداد للفجور والتقوى، إلا أن بعض الأفكار السيئة تطرأ على الأنفس فتنتزل إلى أعماقها لتقوم بدورها في إعادة صياغة سلوك الإنسان، وبمرور الزمن ستغمر النفس بالكثير من الآصار والأغلال، فلا بد من إزالتها وإحلال غيرها محلها من أجل إعادة الصفاء والوضوح لتلك النفس التي تراكم عليها الصدأ والران، فتعطلت ولم تعد تقدر على أداء مهمتها.^(٧٠)

وتتضح أهمية التزكية وأثرها البالغ في تغيير النفس في دعاء النبي (ﷺ) أثناء سجوده. فَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا فَقَدَتِ النَّبِيَّ (ﷺ) مِنْ مَضْجَعِهِ، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: (رَبِّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، زَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا).^(٧١)

وقال النبي (ﷺ): (ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ... وَزَكَّى نَفْسَهُ)، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: (أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ).^(٧٢)

وتزكية النفس تشتمل على أمرين، الأول: محاسبتها قبل العمل، وهو أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه،^(٧٣) وذلك من خلال النظر في ذلك العمل هل يرضي الله (ﷻ) أم يستجلب مقتته وسخطه؟ وهل يُبتغى به وجهه أم الوجوه الفانية؟ وهل مصدر التوجه إليه شرعه تعالى وفق الفهم الصحيح السليم له أم هوى النفس وتأويلاتها الباطلة؟.

والأمر الثاني: محاسبتها بعد العمل، كما لو قصر في طاعة ولم يؤدها على الوجه الأكمل، أو عمل عملاً حراماً استجلب سخط الله وكان تركه أولى من فعله،^(٧٤) فيندم ويعاتب نفسه على ذلك، ويذكرها بفضل الله (ﷻ) عليه وحقه بالطاعة وجوده هو، وبالعقاب المترتب على ذلك، فتتجزر النفس وتتوجه إلى الله (ﷻ) بالتوبة والإنابة والاستقامة، وتتغير من حالة التقصير والإسراف إلى حالة الصلاح والتقوى.

ولكي تدخل النفس في حوزة التزكية (قد أفلح من زكاه) ينبغي أن تستقبل منهج خالقتها بـ (افعل ولا تفعل) كي تستريح كل ملكاتها وتتساند لأداء مهمة الخلافة الصالحة في الأرض، وإذا تمردت على

منهج الله وانطلقت الجوارح وانفلتت بلا ضابط ولا رابط وعانت في الكون فساداً فقد دخلت في منطقة التدسية ((وقد خاب من دساها)).^(٧٥)

ومن الوسائل التي تعين النفس على التركيز والتغيير والارتقاء نحو درجاتٍ عُلّا في الدنيا والآخرة:

١_ المحاسبة: وذلك عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولى، فينظر في نفسه فيم أفنى أوقاته تلك وما كسب لنفسه وما اكتسب عليها، ويحصي ذلك في كتاب فيه جد وتذكير وتبكيث للنفس حتى تعترف وتذعن.

٢_ الخصومة: وذلك بأن يرد شبهات النفس الأمانة بالسوء وعللها ومعاذيرها فيما أسلفت، وأمانيتها فيما بقي.

٣_ القضاء: فيما أرادت النفس، فيحكم على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة، وعلى الحسنة بأنها زائنة منجية مريحة.

٤_ الإثابة والتتكيل: فيسر نفسه بتذكر حسنات النفس ورجاء عواقبها وفضلها، ويعاقب نفسه بتذكر السيئات والتبشع بها والحزن لها.^(٧٦)

يتضح مما تقدم: أن سلوك منهج تركية النفس وتطهيرها بصورة مستمرة ودائبة عامل مهم وأساس في عملية تغيير حياة الفرد والارتقاء به، تمهيداً لتغيير المجتمع الذي يعيش فيه، ودفعه نحو عنصر الخبرة الذي أشار إليه الله عز وجل في قرآنه الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٧٧).

المبحث الثاني
تغيير النفس في التنمية البشرية

مدخل

لقد حثَّ الله تعالى في آيات عدة على التفكير في النفس الإنسانية ﴿سَأْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٧٨) وحث النبي (ﷺ) على الأخذ بالكلمة الحكيمة دون المبالاة من أي وعاء خرجت، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((الْكَلِمَةُ الْحَكِيمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا))^(٧٩)، والمؤمن مكلف بالأخذ بكافة الأسباب التي تعينه على أمور دنياه وآخرته، وعلم التنمية البشرية من العلوم المعاصرة التي تختص بالنفس والعقل وتنميتها والإرتقاء بهما وتغييرهما نحو الأفضل، عن طريق الأساليب والمخططات العملية ذات الطابع البرمجي الذي ينطبع داخل النفس والعقل فيسهل عملية التغيير واكتساب العادات والمهارات الإيجابية، وفي ذلك خدمة كبيرة للمجتمع الإسلامي، لذلك وجدت من الضرورة أن تكون جزءاً يكمل منهجية تغيير النفس.

والبرامج العملية لتغيير النفس في التنمية البشرية كثيرة ومتنوعة، وسندرس بعضاً منها وبما يخدم البحث وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: البرمجة اللغوية العصبية

تعرف البرمجة اللغوية العصبية بأنها: مجموعة من البرامج التدريبية التي تساعد على تعريف الشخص بذاته حسب وضعه الحالي، كيف يفكر ويشعر وماذا يفعل وما يحققه من نتائج، والتعرف على الحالة التي يود أن يكون عليها، فهي تعلم كيفية الانتقال من حالة غير مرغوبة إلى حالة أفضل^(٨٠).

ف(البرمجة) تشير إلى أفكار الشخص ومشاعره وتصرفاته، إذ أنه من الممكن استبدال البرامج المألوفة بأخرى جديدة وإيجابية، و(اللغوية) تعني المقدرة الطبيعية على استعمال اللغة الملفوظة التي تشير إلى كيفية عكس كلمات معينة لكلماتنا الذهنية، وغير الملفوظة وهي لغة الصمت، أي لغة

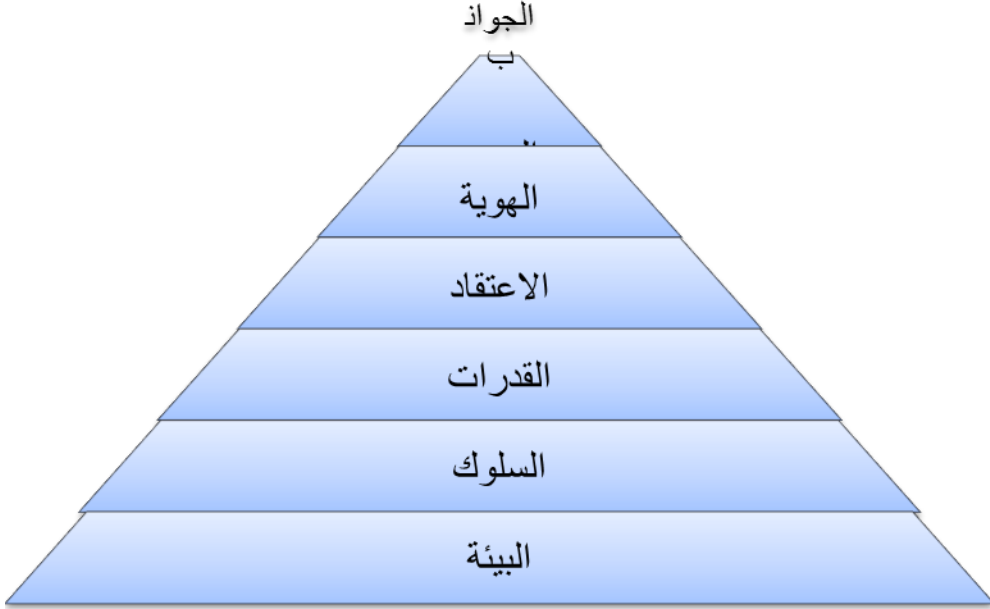
الوضعيات والحركات والعادات التي تكشف عن الأساليب الفكرية والمعتقدات، و(العصبية) تشير إلى الجهاز العصبي للإنسان وهو سبيل الحواس الخمس التي من خلالها نرى ونسمع ونشعر ونتذوق ونشم^(٨١).

إن البرامج التدريبية الخاصة بالبرمجة اللغوية العصبية كثيرة جداً ومتنوعة، إلا أنها تصب جميعاً في تحقيق هدف واحد، ألا وهو مساعدة النفس البشرية على التغيير الإيجابي وتحقيق الأحلام والرغبات المرجوة من خلال خطوات تعرف الشخص بذاته وبالمشكلة التي يعاني منها وبالصفات السلبية التي يجب التخلص منها، وبالطرق والوسائل التي تعينه على تحقيق التغيير المنشود. وهذا المقام لا يتسع لعرض تلك البرامج جميعاً^(٨٢) لكن سأذكر نموذجين منها وبما يخدم البحث.

أولاً: المستويات المنطقية^(٨٣)

هو أحد البرامج المهمة في البرمجة اللغوية العصبية، الذي يساعد على التفكير في التعلم وتغيير النفس وتطوير الشخصية، يتضمن الإطار العام لهذا البرنامج ستة مستويات أساسية تطبق على كل فرد، تم ترتيبها في تسلسل هرمي على قمته (الجوانب الروحية) وفي قاعدته (البيئة) نوضحها بالترتيب التصاعدي الآتي:

- ❖ البيئة: أين ومتى تحدث الأشياء وكل ما يحيط بالإنسان في الخارج، وتشمل الفرص والقيود.
- ❖ السلوك: ما يفعله الشخص، وتشمل الأقوال والأفعال وردود الأفعال.
- ❖ القدرات: كيفية فعل الشخص للأشياء والمهارات المستخدمة، وهي: القوة الداخلية الموجهة للفعل، وتشمل الاستراتيجية والخطط التالية لذلك الفعل.
- ❖ الاعتقاد: لماذا يفعل الشخص الأشياء، وتشمل الدوافع والقيم والأفكار.
- ❖ الهوية: ماذا يرى الشخص في نفسه، وتشمل الاحساس بالذات والمهمة الشخصية.
- ❖ الجوانب الروحية: ما يفعل الشخص هذه الأشياء من أجله، أي ما يكمن وراء ذاته من أشخاص وأشياء وقيم دينية.



والتغيير ممكن أن يحدث من أعلى الهرم (الجوانب الروحية) وهذا سيكون من أقوى أنواع التغيير؛ لأنه سيؤثر تلقائياً في جميع الجوانب الأخرى في هرم المستويات المنطقية، وقد يحدث التغيير من قاعدة الهرم (البيئة) إذا كان الحل الوحيد للتغيير هو ترك البيئة الفاسدة والانتقال إلى بيئة صالحة، وسيتغير تبعاً لذلك السلوك، وصولاً إلى ترسيخ الجوانب الإيمانية الروحية داخل الذات.

ثانياً: نموذج التغيير

وفق هذا البرنامج يتم تقسيم مراحل التغيير على ست مستويات أساسية^(٨٤):

- المرحلة الأولى: **لاحظ** - إن الخطوة الأولى على طريق التغيير هي ادراك الشيء الخاطئ والسيء الذي نفعله، إذ أننا في أغلب الأحيان نعمل الأشياء دون التفكير بها، وذلك لاعتيادنا عليها، فينبغي ملاحظة تصرفاتنا إن كانت حسنة أم سيئة.

- المرحلة الثانية: قرر_ بعد أن لاحظنا أفعالنا وحكمنا على السوء منها بالسوء والبطلان، ننتقل إلى القرار، وهذا القرار يستند إلى طاقة عالية وإلى إيمان بأن التغيير ممكن.
- المرحلة الثالثة: تعلم_ إن قرار التغيير مع أهميته البالغة إلا أنه ليس كل شيء، فينبغي أن نتعلم كيف نمارسه بطرق التعلم المختلفة كالمحاضرات والكتب والندوات والمؤتمرات.
- المرحلة الرابعة: استوعب_ وهي مرحلة الدمج، أي الزيادات البسيطة التي تمكن من استيعاب أفضل لما تعلمناه حتى تتم برمجة كل ذلك في مرحلة أعمق من عقلنا اللاواعي، وتنشأ العادة الجديدة التي تحل محل العادة القديمة.
- المرحلة الخامسة: مارس_ أي ممارسة ما تم استيعابه في الحياة اليومية، حتى تزحف متطلبات العادات القديمة إلى الخارج، ولن يكون ذلك بالأمر الميسر لأن العقل اللاواعي سوف يختبرنا لمعرفة ما إذا كنا نرغب حقاً في أن يحل السلوك الجديد محل القديم.
- المرحلة السادسة: واظب_ بعد اجتياز المراحل الخمس السابقة بنجاح، وتحقيق الغاية المنشودة ينبغي إدراك أن مواصلة العمل والمواظبة عليه جزء لا يتجزأ من التغيير، وإن عمل الشيء لفترة زمنية محدودة غير كافٍ لإحداث التغيير الدائم، فمهما كان الهدف يجب أن يظل نموذج التغيير جزءاً من حياتنا.

نموذج التغيير

لاحظ

ابدأ في ملاحظة سلوكك بشكل واع، تأمل كيفية تنفسك واتصالك وتصرفاتك،
تحت أية أنواع من الضغوط

قرر

أن تفعل ما يلزم، من أجل التغيير

تعلم

مهارات جديدة: اقرأ، استمع، شاهد، خذ دروساً

استوعب

بخطوات بسيطة: كن مواظباً، مارس يومياً مهما كانت الظروف

مارس

يومياً حتى تصبح جزءاً من حياتك

واصل عملك حتى الانجاز

كن منضبطاً، ومهما حدث، لا تتوقف!

المطلب الثاني: الذكاء العاطفي

الذكاء العاطفي أو الذكاء الانفعالي: هو الواقعية والانفتاح والصراحة بخصوص مشاعرنا، ومشاكلنا، وهو: الواقعية في تفاعلاتنا مع الآخرين والحساسية تجاه مشاعرهم وسلوكياتهم، فهو: فن إدارة الانفعالات والتعبير عنها بصورة لائقة وفعالة بما يمكن الناس من العمل بنتائج لتحقيق أهداف مشتركة^(٨٥).

ويعرف أيضاً بالذكاء الروحي: وهو قدرة الروح التي هي جوهر الإنسان وأصل وجوده على اختيار الأفضل دائماً، من ناحية الأفعال التي يقوم بها الجسد، والتركيز على أفكار معينة داخل العقل واختيار طريقة تفكير مناسبة، وانتقاء المشاعر التي تفضل الإحساس بها في نطاق النفس والأسرة والمجتمع والعمل^(٨٦).

أولاً: مجالات الذكاء العاطفي الخمس:

ونذكرها وفق السياق الآتي^(٨٧):

- ١) **الوعي بالنفس:** وهو الحجر الأساس في الذكاء العاطفي، وهو: أن يعرف كل إنسان عواطفه ويتعرف على شعور ما وقت حدوثه، ويشمل القدرة على ملاحظة مشاعرنا الحقيقية، ورصدها من لحظة لأخرى.
- ٢) **إدارة العواطف:** وهي قدرة تتبني على الوعي بالنفس، وتشمل التعامل مع المشاعر لتكون مشاعر ملائمة، وتهدئتها عند الغضب والتهجم وسرعة الاستئثار والقلق الجامح.
- ٣) **تحفيز النفس:** أي توجيه العواطف في خدمة هدف ما، وهو عامل مهم في التفوق والإبداع، ذلك لأن التحكم في الانفعالات بمعنى تأجيل الإشباع ووقف الدوافع المكبوتة التي لا تقاوم؛ أساس مهم لكل إنجاز.
- ٤) **التقمص الوجداني:** وهو مقدرة أخرى تتأسس على الوعي بالانفعالات، ويشمل قدرة التعرف على عواطف الآخرين، فالأشخاص الذين يتمتعون بملكة التقمص الوجداني يكونون أكثر قدرة على التقاط الإشارات الاجتماعية التي تدل على أن هناك من يحتاج إليهم.

٥) توجيه العلاقات الإنسانية: وتشمل القدرات التي تكمن وراء التمتع بالشعبية والقيادة والفعالية في عقد الصلات مع الآخرين، فالعلاقات بين البشر هو في معظمه مهارة في تطويع عواطف الآخرين، وإن المتفوقين في هذه المهارات يجيدون التأثير بمرونة في كل شيء يعتمد على التفاعل بين الناس، فهم نجوم المجتمع.

إن الذكاء العاطفي مهارة يمكن اكتسابها وتطبيقها، ولنضرب مثلاً على ذلك: التعصب للرأي الشخصي ومحاولة فرضه على الآخرين، إذ تبدأ رحلة الذكاء العاطفي مع المتعصب بـ(الوعي بالنفس) فينتبه إلى حقيقة مشاعره أراء رأي معين، لم يتمسك به؟! نصرته للحق وقد لا يكون الحق معه_ أم نصرته لذاته!! ثم ينتقل إلى (إدارة العواطف) فيحاول التنبه والسيطرة على مشاعر الغضب والانفعال الناجمة عن الإحساس بالانتصار للذات، وتأجيلها في محاولة لـ(تحفيز النفس) وشحذها بالعواطف الإيجابية لتقبل الرأي الآخر، لينتقل إلى مرحلة (التقص الوجداني) فيتعرف على مشاعر الآخرين وحقيهم في ابداء رأيهم والاعتزاز بذاتهم كما له الحق في ذلك!! ليستطيع بعد ذلك (توجيه العلاقات الإنسانية) بأن تكون لديه المقدرة العالية على استيعاب آراء الآخرين واقناعهم بوجهة نظره، واقتناعه هو بوجهة النظر الصائبة، وتوجيه الحوارات والسلوكيات نحو اتباع الحق دون المبالاة بأي وعاء خرج منه، وعلى أي لسان كان.

ثانياً: التغيير بالقوة الفاعلة لخطوط الزمن

وتعد أحد أقوى مفاهيم التغيير، وهي: برمجة عملية شعورية لصنع التغييرات الشخصية العميقة وبسرعة، وخطوط الزمن هي: طريقة لتمثيل تاريخنا الشخصي ومستقبلنا على خط زمن بصري، يكون الماضي الذي انقضى إلى يسارنا، وبالإمكان تمثيل ذكرياتنا الأولى مثلاً (٢متر) إلى يسارنا، وكلما تقدمنا يميناً على طول خط الزمن، فإن ذلك يمثل الأوقات الأكثر حداثة وصولاً إلى الحاضر، ويمكن تمثيل المستقبل على يميننا، وبالشكل الآتي^(٨٨):



المستقبل الحاضر الماضي البعيد (الطفولة)
٢م يميناً أمامك مباشرة ٢م يساراً

(هذا أنت واقف على خط الزمن)

ولتطبيق هذه التقنية في إعادة برمجة عاطفة سلبية قديمة وتغييرها سريعاً، وكأن تكون (العصبية) نتبع الآتي:

- ١) قف في منتصف غرفة كبيرة، كي تتحرك بسهولة على خط الزمن.
- ٢) انظر أمامك مباشرة، ذلك يمثل الحاضر الذي تعيشه.
- ٣) تحرك ببطء إلى يسارك، إلى أن تصل إلى الموضع الذي شعرت فيه بالعصبية، قبل شهر مثلاً.
- ٤) ارجع خطوة إلى الوراء بحيث يصبح ذلك الشعور أمامك بذكرياته وشعوره المؤلم.
- ٥) بعيداً عن ذلك الشعور، فكر في حالة ايجابية تكسبك شعوراً طبيعياً، كأن يكون الاسترخاء.
- ٦) لجعل تلك الحالة الايجابية قوية جداً اعمل على ربطها بالمستقبل، واجعل لذلك الرابط لوناً معيناً وصوتاً محبباً وانشره خلال جسمك كله واشعر بزيادة الشعور الناشئ عن الحالة.
- ٧) بشعور هذه الحالة القوي تحرك على طول خط زمنك، وصولاً إلى الحاضر.
- ٨) استدر حولك وتطلع إلى الماضي وتخيل لون الحالة الايجابية وصوتها (الاسترخاء) كسحابة تمتد وتلون خط زمنك الماضي.
- ٩) تطلع إلى مستقبل واعد عظيم.

من خلال هذه التقنية تعلمنا كيفية تغيير مشاعرنا السلبية إلى أخرى إيجابية (العصبية الاسترخاء) عن طريق العودة بذكرياتنا إلى زمن حدثت فيه هذه الحالة، ومحاولة تغيير شعورنا إزاء المواقف والتحكم بها، ونقل هذا الشعور إلى الحاضر والتطلع به إلى المستقبل، وهذا هو الذكاء العاطفي متمثلاً بالصدق مع مشاعرنا والسعي نحو تغييرها إيجابياً.

المطلب الثالث: مخططات التغيير

إن التخطيط المنظم للتغيير يسفر عن نتائج إيجابية ومضمونة، وفي عالم النفس تم وضع العديد من مخططات التغيير التي تنطبق على كل شخص، وقد اخترنا منها النموذجين الآتيين:
أولاً: مراحل التغيير الست
وتتمثل بالآتي^(٨٩):

- (١) مرحلة الاسقاطات: في هذه المرحلة يتم اسقاط اللوم في مشاكل الأشخاص ومسائهم على كل من حولهم من عائلة أو مجتمع أو ظروف مادية وسياسية وغيرها، فينبغي تصحيح مسار اللوم واسقاطه على النفس ذاتها.
- (٢) مرحلة الاستيعاب: وهي مرحلة الاعتراف بوجود المشكلة، وبدون هذه الخطوة لن يحصل أي تغيير، فالإنسان في هذه المرحلة يكون في حالة تجميع واستيعاب ونوع من الضياع والشك، وهي مرحلة جيدة تتبأ بتغيير قريب إلى الأفضل.
- (٣) مرحلة الاستعداد: وهي مرحلة الاستشارة والسؤال، ثم التخطيط، فالذين لا يخططون هم في الحقيقة لا يعرفون أين يذهبون، ومن لا يخطط ينبغي أن لا يتوقع نتائج منضبطة، فهذه المرحلة هي مرحلة تحديد المسار.
- (٤) مرحلة التطبيق: وهي مرحلة رؤية النتائج، وتمثل صلب عملية التغيير، فمن لا يطبق بعد التخطيط يجب أن لا يتوقع نتائج البتة.

٥) مرحلة الصيانة والمحافظة: وهي مرحلة التأكد من الحصول على النتائج واستمرارية النجاح، أو رعاية التشافي للوصول إلى بر الأمان.

٦) مرحلة القضاء على المشكلة: والحصول على ما تريد والتأكد من عدم العودة إلى المرحلة السابقة.

ثانياً: سداسي التغيير (الميمات الستة)

وهي عناصر العملية التغييرية ومكوناتها، التي ينبغي دراستها عند التخطيط للتغيير، وتبدأ بحرف الميم وتشكل شكلاً سداسياً، وكالاتي^(٩٠):

١) موضوع التغيير: ويشمل جميع مجالات حياة الإنسان العامة والخاصة، فقد يكون التغيير في المبادئ والقيم، أو في السلوك والتعامل مع الآخرين، أو في الفكر والثقافة، أو في المهارات والقدرات، أو في الإمكانيات المادية والمعنوية، وغيرها.

٢) المغيّر: وهو الذي يطالب بالعملية التغييرية وينادي بها، ويبدأ في ممارستها ويقودها، فهو الأساس الذي يقوم عليه التغيير.

٣) المؤيد: وهو الذي يؤيد العملية التغييرية ويمكن أن يمارسها، أو يساهم في المطالبة بها.

٤) المحايد: هو الذي لم يشكل رأياً أو يتبنى موقفاً واضحاً تجاه العملية التغييرية.

٥) المقاوم: وهو الذي يرفض العملية التغييرية ويسعى إلى إفشالها والقضاء عليها أو تأخيرها وتشويهها.

٦) مقاومة المقاومة: وتعني الممارسات التي يمكن أن يمارسها قادة التغيير ومؤيدوه لترويض المقاومة أو إجهاضها والقضاء عليها.

الخاتمة وأهم النتائج

- ويعد هذه الرحلة في أعماق النفس البشرية وكيفية تغييرها وفق مراد الله تعالى، وقبل طيّ الصفحة الأخيرة، نقف لنلخّص أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، والمتمثلة بالآتي:
- (١) منهجية تغيير النفس في الفكر الإسلامي والتنمية البشرية هي السعي لتغيير ما بالنفس الإنسانية من صفات سيئة وعادات سلبية وسلوكيات محرمة بالطرق والأساليب العلمية، ووفق خطط ناجحة ومضمونة النتائج، وذلك بالرجوع إلى الأصول الثابتة في الإسلام ونتائج الفكر الإسلامي في فهم الدين وحسن تطبيقه، وكذلك الاستعانة بمعطيات علم التنمية البشرية الحديث وبرامجه التطويرية.
 - (٢) إن منهجية التغيير تقوم على أساس إعادة صياغة الفرد عن طريق إبراز خصائصه الإنسانية العليا وتطهيره من الداخل، سواء من مفاصد النفس أم من الهزائم النفسية المتواصلة، والقيام بعملية بعث وإحياء كمال إنسانيته وسمو فكره وروحه وشعوره وسلوكه.
 - (٣) إن أول خطوة في سبيل التغيير هو إدراك سنن الأنفس والآفاق التي أودعها الله في هذا الكون، والعمل بمقتضاها، وأعظم تلك السنن هي سنة تغيير النفس كشرط لتغيير المجتمع ورفع البلاء والبأساء عن الأمة الإسلامية.
 - (٤) تعد معرفة الغاية التي خلق من أجلها الإنسان والسعي نحو تحقيقها عاملاً قوياً محركاً للنفس نحو التغيير المنشود، وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الواسع، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وبذلك يمكن إعادة بناء المجتمع، وتحقيق النهضة الحضارية.
 - (٥) ذكر القرآن الكريم والسنة المطهرة في مواضع عدة شقّي النفس البشرية، وهما (النفس المزكاة والنفس المدساة) وحثاً كثيراً على اتباع منهج التزكية من أجل تغيير النفس وتجنب منهج التدسية الذي يبقي النفس على ما عليها من مساوئ وآثام.

٦) علم التنمية البشرية من العلوم المعاصرة التي يمكن الاستفادة منها في عملية تزكية النفس وتنميتها وتغييرها، كونه نتاج علماء سبروا أغوار النفس البشرية وكشفوا عن طاقاتها وقوانينها وكيفية التعامل مع مشاكلها ورغباتها، ووضعوا في ذلك خطأً وبرامجاً تدريبية.

٧) من أهم ما يمكن أن يستفاد من التنمية البشرية من مجالات هو البرمجة اللغوية العصبية؛ كونها وضعت برامج دقيقة في تدريب النفس على اكتساب العادات الحسنة والتخلي عن العادات السيئة.

٨) إن الذكاء العاطفي هو محاولات عملية للسيطرة على انفعالات النفس الشعورية، انتقالاً للسيطرة على مشاعر الآخرين وفهمها والتعامل معها بأسلوب كسبي يجمع القلوب ولا يفرقها.

٩) للتخطيط دور مهم ورئيسي للوصول إلى الهدف المطلوب، لذا كان لمخططات تغيير النفس أثراً بارزاً وحاجة لا يستهان بها في تحقيق التغيير.

هذا أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، وأسأله تعالى أن يوفقنا للفهم السديد والعمل الرشيد وأن يعيننا على تغيير أنفسنا إنه سميع مجيب، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

- (١) ينظر: الرازي؛ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٣٦١.
- (٢) سورة المائدة، الآية (٤٨).
- (٣) ينظر: ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب (دار صادر: بيروت، ٣، ١٤١٤هـ) ج ٢، ص ٣٨٣. الرازي، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٣٦١.
- (٤) ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (عالم الكتب: ٢٠٠٨م) ج ٣، ص ٢٢٩١.
- (٥) ينظر: محمد البدوي، المنهجية في البحوث والدراسات الادبية (تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، د.ت) ص ٩.
- (٦) سورة الأنفال، الآية (٥٣).
- (٧) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٤٠. الزبيدي؛ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د.ت) ج ١٣، ص ٢٨٦.
- (٨) ينظر: الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء (دار الكتب العلمية: لبنان، ١٩٨٣م) ص ٦٣.
- (٩) مكامل محمد المغربي، السلوك التنظيمي - مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم (عمان: دار الفكر، ١٩٩٣م) ص ٢٤٥.
- (١٠) سعيد ياسين عامر، مفاهيم إدارة التغيير وأهميتها/ سعيد ياسين عامر وآخرون، استراتيجيات التغيير وتطوير المنظمات، المؤتمر السنوي الأول، مركز وايد سيرفس للاستشارات والتطوير الإداري (القاهرة، ١٩٩١م) ص ٥١.
- (١١) ينظر: صلاح الصاوي، منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق (دار نهضة مصر: القاهرة، ١٩٩٨م) ص ٣.
- (١٢) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٦، ص ٥٥٩-٥٦١.
- (١٣) محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم (دار الرشيد: دمشق، ط ٤، ١٤١٨هـ) ج ٢٤، ص ١٩٠.
- (١٤) ينظر: الهروي؛ محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (دار احياء التراث العربي: بيروت، ٢٠٠١م) ج ١٣، ص ٨. ابن فارس؛ أحمد بن فارس = بن زكريا القزويني الرازي، أبو

- الحسين(ت٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٢، ١٩٨٦م) ص٨٧٩. الجوهري؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين: بيروت، ط٤، ١٩٨٧م) ج٣، ص٩٨٤.
- (١٥) الجرجاني، التعريفات، ص٢٤٢.
- (١٦) ينظر: الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، معارج القدس في مدارج معرفة النفس (دار الآفاق الجديدة: بيروت، ط٢، ١٩٧٥م) ص١٥.
- (١٧) سورة المائدة، الآية (١١٦).
- (١٨) ينظر: الألوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ)، ج٩، ص٤٤.
- (١٩) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٦٥. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج١٣، ص٣٤٥. الفيروزآبادي؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م) ص٥٨٨.
- (٢٠) ينظر: الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٤٤٦.
- (٢١) ينظر: الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي الحموي، أبو العباس(ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (المكتبة العلمية: بيروت، د.ت) ج٢، ص٤٧٩.
- (٢٢) الصنعاني؛ محمد بن إسماعيل الأمير، إجابة السائل شرح بغية الآمل، تحقيق: حسين بن أحمد السياغي؛ حسن محمد مقبولي الأهدل (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م) ج١، ص٥٣.
- (٢٣) ينظر: محمد البهي، الفكر الإسلامي في تطوره، ط٢ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨١م) ص٦.
- (٢٤) السيد محمد الشاهد، رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٤م) ص٨٣.
- (٢٥) ينظر: الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري(ت١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي (دار الهلال، د.ت) ج٨، ص٣٨٥. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٤٠، ص١٣٠. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦، ص٢٥١٥.
- (٢٦) ينظر: الفيومي، المصباح المنير في شرح الجامع الكبير، ج٢، ص٦٢٦.
- (٢٧) ينظر: العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (دار العلم والثقافة: القاهرة، د.ت) ص١٨٠.

- (٢٨) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٥ التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) طبع في الولايات المتحدة الأمريكية في (PBM Graphics) التابع لشركة (RR Donnelley) ص ٢.
- (٢٩) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (الدار التونسية للنشر والتوزيع: تونس، د.ت) ج ١٠، ص ٤٥.
- (٣٠) سيد قطب، في ظلال القرآن (دار الشروق: القاهرة؛ بيروت، ط ٣٢، ٢٠٠٣م) ص ١٥٣٥-١٥٣٦.
- (٣١) الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م) ج ١٦، ص ٣٨٢.
- (٣٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ٢٠٤٩.
- (٣٣) سورة آل عمران، الآية (١٦٥).
- (٣٤) ينظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (٦ أكتوبر: مطبعة أخبار اليوم، د.ت) ج ٣، ص ١٨٦٠-١٨٦٤.
- (٣٥) السنن التاريخية والاجتماعية: هي (الطريقة المتبعة في معاملة الله ﷻ) للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله ﷻ) وأنبياؤه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة) ومجالها التاريخ وسير الأمم السابقة وسنن النهوض والسقوط الحضاري. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) ص ١٣.
- (٣٦) جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، تقديم: مالك بن نبي (الناشر: أيمن نويلاتي، ط ٨، ١٩٨٩م) ص ١٥.
- (٣٧) السنن الطبيعية: هي القوانين التي وضعها الله ﷻ) في الكون ويسير كل ما فيه وفقها، والتي يستفيد منها الكائن الإنساني بما منحه الله ﷻ) من العقل وإمكانية التعلم فيسخرها وينتفع منها، لأن نظم هذا الكون المفتوح بما فيه ومن فيه مُسيرة للإنسان ومسخرة له وفق ما أَراده الخالق تبارك وتعالى، مجالها الواسع السموات والأرض والحياة والكون والإنسان. ينظر: ابراهيم بن علي الوزير، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر (القاهرة: دار الشروق، ط ٤، ١٩٨٩م) ص ٧.
- (٣٨) ينظر: عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ٢٤.
- (٣٩) سورة المائدة، الآيات (٦٥-٦٦).
- (٤٠) سورة الرعد، الآية (١١).
- (٤١) سورة محمد، الآية (٣٨).
- (٤٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ١٧.
- (٤٣) ينظر: سيد قطب، هذا الدين (القاهرة: دار الشروق، ط ١٥، ٢٠٠١م) ص ٦.

- (٤٤) سورة الإسراء، الآية (٧٧).
- (٤٥) سورة الفتح، الآيات (٢٢-٢٣).
- (٤٦) ينظر: ابن تيمية؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم (الرياض: دار العطاء، ٢٠٠١م) ج ١، ص ٥٢.
- (٤٧) سورة المؤمنون، الآية (١١٥).
- (٤٨) ينظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص ١٠١٧١-١٠١٧٢.
- (٤٩) سورة الذاريات، الآية (٥٦).
- (٥٠) ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير (دار الفكر: دمشق، ط ١٠، ٢٠٠٩م) ج ١٤، ص ٥١.
- (٥١) ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير (دار السلام: القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م) ج ١٠، ص ٥٥٢٤.
- (٥٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).
- (٥٣) ينظر: محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (مصر: دار المنار، ط ٣، ١٣٦٧هـ) ج ١، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (٥٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ٥٦.
- (٥٥) سورة هود، من الآية (٦١).
- (٥٦) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ١٥، ص ٣٦٨.
- (٥٧) ابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب (مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ) ج ٦، ص ٢٠٤٨.
- (٥٨) الماتريدي؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٥م) ج ٦، ص ١٤٩.
- (٥٩) ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ (الموصل: ط ٤، ١٩٨٦م) ص ١٧٥.
- (٦٠) سورة يونس، الآية (١٤).
- (٦١) ينظر: محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان_ قراءة معرفية (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، د.ت) ص ٧٥-٧٦.
- (٦٢) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

- (٦٣) سورة الشمس، الآيات (٧-١٠).
- (٦٤) الزحيلي؛ وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (دار الفكر المعاصر: دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ) / ٣٠ / ٢٦١.
- (٦٥) سورة الفجر، الآيتان (٢٧-٢٨).
- (٦٦) سورة القيامة، الآيتان (١-٢).
- (٦٧) سورة يوسف، من الآية (٥٣).
- (٦٨) ينظر: الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين (دار المعرفة: بيروت، د.ت) ص ٣-٤. أحمد عمر هاشم، النفس والقرآن (دار الفيصل، د.ت) ص ٣٩-٤٠.
- (٦٩) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩١٧.
- (٧٠) ينظر: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص ٦٠.
- (٧١) اخرجهم أحمد؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م) ٤٢/٤٩٢. وقال الهيثمي: زوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرِ صَالِحِ بْنِ سَعِيدِ الرَّأوِيِّ عَنْ عَائِشَةَ، وَهُوَ ثِقَةٌ. الهيثمي؛ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي (مكتبة القدسي: القاهرة، ١٩٩٤م) ج ١٠، ص ١١٠.
- (٧٢) الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، الروض الداني (المعجم الصغير) ج ١، ص ٣٣٤. وَلَا يُرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ابْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ الرَّبِيعِيُّ.
- (٧٣) ينظر: عبد الله بن محمد اليوسف، تزكية النفس ومعالجة الآفات (دار العاصمة، د.ت) ص ١٨.
- (٧٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٩.
- (٧٥) ينظر: محمد متولي الشعراوي، تقديم كتاب: النفس في القرآن، أحمد عمر هاشم (دار الفيصل، د.ت) ص ٧-٨.
- (٧٦) ابن المقفع؛ عبد الله (ت ١٤٢هـ)، الأدب الصغير والأدب الكبير (دار صادر: بيروت، د.ت) ص ١٩.
- (٧٧) سورة آل عمران، من الآية (١١٠).
- (٧٨) سورة فصلت الآية (٥٣).

- (٧٩) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج ٥، ص ٥١. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د.ت) ج ٢، ص ١٣٩. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.
- (٨٠) ينظر: كارول هاريس، البرمجة اللغوية العصبية NLP الآن أكثر سهولة، ترجمة: مكتبة جرير (مكتبة جرير: المملكة العربية السعودية، ط ٦، ٢٠٠٨م) ص ١١.
- (٨١) ينظر: ابراهيم الفقي، البرمجة اللغوية العصبية NLP وفن الاتصال اللامحدود (منار للنشر والتوزيع: دمشق، ٢٠٠١م) ص ١٨.
- (٨٢) للاستزادة من هذه البرامج ينظر: هاري ألدروبيريل هيذر، البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يوماً_ مقدمة متكاملة وبرنامج تدريبي، ترجمة: مكتبة جرير (مكتبة جرير: المملكة العربية السعودية، ط ١١، ٢٠٠٧م). وينظر: هند رشدي، التخلص من المشكلات الشخصية والعاطفية بالبرمجة اللغوية العصبية (العالمية: الجيزة، ٢٠١٠م)
- (٨٣) كارول هاريس، البرمجة اللغوية العصبية NLP الآن أكثر سهولة، ص ٦٨-٧٠.
- (٨٤) ابراهيم الفقي، البرمجة اللغوية العصبية NLP وفن الاتصال اللامحدود، ص ٤٢-٤٨.
- (٨٥) ينظر: هارفي دوتشيندورف، النوع الآخر من الذكاء_ طرق بسيطة لتعزيز الذكاء العاطفي، ترجمة: مكتبة جرير (المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير، ٢٠١١م) ص ١١-١٢.
- (٨٦) ينظر: ديفيد باول، ذكاء الروح، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق (دار الفاروق: الجيزة- مصر، ٢٠١٠م) ص ١٢.
- (٨٧) ينظر: دانييل جولمان، الذكاء العاطفي، ترجمة: ليلي الجبالي، (سلسلة عالم المعرفة_ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ٢٠٠٠م) ص ٦٨-٦٩.
- (٨٨) ينظر: عامر ابراهيم علوان، درب دماغك لجذب الصحة والسعادة والنجاح والثروة (دار صفاء: عمان، ٢٠١٤م) ص ٤٧٣-٤٧٨.
- (٨٩) ينظر: صلاح صالح الراشد، كيف تخطط لحياتك (مركز الراشد: الكويت، د.ت) ص ٨٩-٩٢.
- (٩٠) ينظر: علي الحمادي، التغيير الذكي (دار ابن حزم: بيروت، ٢٠١١م) ص ٢٤-٢٥.

Conclusion

Self Changing curriculum in Islamic Thought and Human Development means seeking to change the self-humanity of the bad traits and habits and negative behaviors taboo means and scientific methods of, and in accordance with the successful and results are guaranteed plans, and by reference to the fixed assets in Islam and the products of Islamic thought in the understanding of religion and its proper application, as well as the use of with data of human development of modern science and software development.

The curriculum change in Islamic thought includes: awareness of the ways of lives and prospects that God has placed in this universe, and act upon, and the greatest of these Sunan is the year to change the self-condition for the transformation of society and raise the scourge and Alboads for the Islamic nation, and includes: knowledge of the purpose for which the creation of the human for it and seek to achieve them and is an engine of the same towards the desired change is a strong factor, and that end is the worship of God in a broad sense, the task of succession in the land and architecture, and thus can rebuild the community, and to achieve the cultural renaissance, which includes the change in Islamic thought: the Way of Islam self encouraged by the Koran and Sunnah and disinfected on an ongoing basis and constant, is an important and essential factor in the process of changing individual lives and elevate it, and as a prelude to change the society in which he lives.

The curriculum change in human development includes: NLP; one of the most important can be learned from the human development of the areas, being laid-minute programs in the training of self to acquire good habits and give up bad habits, including: emotional intelligence, which attempts to process control the emotions emotional self, going to control the feelings of others and to understand and deal with them in a manner Cosby brings hearts not separated, and includes: change schemes, is no secret what the layout of the important role of the key to reach the desired goal, so he plans to change the psychology prominent and the need for an impact to be reckoned with in the achieve change.